الحقد والضغينة ، وعدوّة البغايا أيضاً بمعنى من المغالبة والمنافسة ، وكلُّ ما يستطيع الدهاءُ أن يعمله فهو الذى علىَّ أنا أن أعمله ، فماذا أصنع وأنا أحب ؟ وكيف أنجح وأنا أحب ؟ ولكن النفس تجيبنى على كل هذا بأن هذا كلَّه بعيدٌ عن المسئلة مادام هو هو المسئلة . .

* * *

قال الراوى : وكانت كالذاهلة مما سمعت ، ثم قالت : ألك شيطانٌ فى قلبى ؟ فهذا كله هو الذى حدث فى سبعة أيام

قال (ح) : ولكن كيف يقع هذا الحب . وهَبْك صنعت تلك الروايةَ ووضعتَ على لسان العاشقة ذلك الكلام ، فبماذا كنت تنطقها فى وصف حبها ، وما اجتذبها من رجل فاز بقلبها ولم يُداورْها ، بعد مائة رجلٍ كلُّهم دَاوَرَها ولم يفز منهم أحد . أتكون فى وجه هذا الرجل أنوار كتباشير الصبح تدلُّ على النهار الكامن فيه ؟

قالت هى : نعم نعم . بماذا كنت تنطقها ؟

قلت : كنت أضع فى لسانها هذا الكلامَ تجيبُ به عاذلةً تعذُلها :

تقول : لا أدرى كيف أحببته ، ولكنَّ هذه الشخصيةَ البارزةَ منه جذبتنى اليه ، وجعلت الهواء فيما بينى وبينه مُفعَما بالمغناطيس مصدرُه هو ، ومعناه هو ، ولا شىء فيه إلا هو

عرَضتُه لى شخصيتُه ظاهراً لأن جواب شخصيته فىَّ ، وأصبح فى عينى كبيراً لأن جوابَ شخصيتى فيه ، ومن ذلك صارت أفكارى نفسها تزيده كلَّ يوم ظهوراً وتزيدنى كل يوم بَصرا ، وأعطاه حقَّه فى الكمال عندى حقَّه فى الحب منى ؛ وبتلك الشخصية التى جوابها فى نفسى أصبح ضرورةً من ضرورات نفسى

* * *

قال الراوى :

ولما رأيتها فى جوّى نسيمه وعاصفته ، أردتها على قصّتها وشأنها ، فماذا قلت لها وماذا قالت ؟

(فى العدد القادم بقيتها)

(طنطا)

محمد سعيد العريان

إلى الأديبة و . س بدمشق : أما بعد الشكر للأديبة الفاضلة فأنت فى الشكوى والموضوع يعتذر . . . . وسيلقى إليك كتابى الرافعى

افتتاح إفريقيـــــة

وكيف غزاها الاستعمار الأوربى

بقلم مؤرخ كبير

ليست المشكلة الايطالية الحبشية التى تكدر اليوم سلام العالم سوى نفثة جديدة من نفثات الاستعمار الغربى ، وطموح أمة أوربية قوية إلى غزو أمة إفريقية ضعيفة تزخر أرضها بالثروات الطبيعية الدفينة التى مافتئت تحفز الاستعمار إلى الغزو والتغلب ، وإلى اجتياح الأمم الضعيفة الآمنة ؛ فهى ليست بذلك مشكلة دولية بالمعنى المعروف ، وإنما هى محاولة أوربية جديدة لاجتياح آخر أرض فى إفريقية استطاعت أن تنجو حتى اليوم من عدوان الاستعمار

كانت القارة الافريقية منذ قرن فقط ، منطقة بكراً ، لايكاد الغرب يعرف شيئاً إلا عن أممها الشمالية التى تحتل الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط ، والتى كانت تتمتع مدى الأحقاب بحضارات زاهرة ؛ وكانت هذه الأمم المتمدنة الزاهرة — مصر وبلاد المغرب — تكاد تحجب ماوراءها من أمم القارة السمراء ، وتكون دون اجتياحها سداً منيعاً يحميها من مطامع الاستعمار الغربى الذى استطاع منذ القرن السادس عشر أن يجتاح الأمريكتين ، وأن ينفذ إلى الشرق الأقصى ، واستطاع منذ القرن الثامن عشر أن يستقر فى الهند . ومنذ أواخر هذا القرن أيضاً توالت بعوث الاستعمار إلى إفريقية ، فنفذت اليها من الشرق والغرب والشمال ، وأثارت اكتشافات الرحّل مثل منجو بارك ودنهام وكلابرتون ورنيه كاييه وستانلى ولفنجستون وغيرهم فى الأمم الأوربية مطامع وآمالاً جديدة ، وبعثت النهضة الصناعية إليها رغبة قوية فى استعمار تلك المناطق الجديدة واستغلال ثرواتها الدفينة ، واستعباد شعوبها المتأخرة وتسخيرها فى سبيل الغايات الاستعمارية

وكانت أمم إفريقية الشمالية ، وهى مفتاح القارة ، بالطبع محط المشروعات والمحاولات الأولى ؛ وكانت اسبانيا أسبق الأمم

الأوربية إلى التطلع إلى تلك الأمم المغربية التي تواجهها في الضفة الأخرى من البحر والتي خاضت معها من قبل كثيراً من المعارك، والتي استطاعت أيام قوتها وازدهارها - أيام المرابطين والموحدين - أن تغزو اسبانيا وأن تحتل قسمها الجنوبي أعني اسبانيا المسلمة؛ ومنذ أيام الأمبراطور شارلكان وولده فيليب الثاني (القرن السادس عشر) بذلت اسبانيا - وهي يومئذ في إبان قوتها وعظمتها - عدة محاولات لافتتاح الجزائر وثغور المغرب، ولكنها لم تستطع أن تظفر في تلك الوهاد الوعرة بفتوح مستقرة؛ واستطاعت تلك الأمم المغربية أن تحافظ على استقلالها في ظل طائفة من الحكام الفاسرين الذين يرجعون إلى أصل تركي حتى فاتحة القرن التاسع عشر. وكانت اسبانيا قد انحدرت في ذلك الحين إلى عداد الدول الثانوية، وأخذت دولة أوربية أخرى هي فرنسا تتطلع إلى افتتاح تلك الأمم واستعمارها؛ وكانت حمى افتتاح إفريقية قد أخذت تسري إلى الدول الأوربية، على أثر الاكتشافات الجغرافية العديدة التي كشفت عن غنى تلك المجاهل بالثروات الطبيعية المدهشة؛ وخشيت فرنسا أن تسبقها أمة أوربية أخرى إلى غزو أمم المغرب التي تواجهها في الضفة الأخرى من البحر ولا تبعد عن ثغورها الجنوبية سوى يومين؛ ولم يكن يعوز الاستعمار أو تعجزه حجج التدخل والعدوان. ففي سنة ١٨٣٠، في عصر الملك شارل العاشر، جهزت فرنسا أسطولاً ضخما، وحملة قوية إلى ثغر الجزائر؛ واستولى الفرنسيون على الثغر الحصين بعد قتال رائع، وانسحب الحاكم التركي (الداي) بأمواله وأسرته؛ واتخذ الفرنسيون من الجزائر قاعدة لغزو المغرب الأوسط كله؛ وكانت بتوسطها ومناعتها أصلح القواعد؛ ولكن فرنسا لقيت خصما صلباً عنيداً في عبد القادر زعيم الجزائر وبطلها الأشهر؛ وقد استطاع هذا الوطني الكبير والجندي الباسل أن ينظم الدفاع عن وطنه زهاء خمسة عشر عاماً هزم خلالها عدة حملات فرنسية قوية، وكبد فرنسا خسائر فادحة في الرجال والمال؛ ولكن السياسة الاستعمارية لم ترتد أمام هذا النضال الوطني الرائع، ولم تحجم في سبيل غايتها عن أية تضحية؛ فما زالت فرنسا تبعث الحملات المختلفة، وتستولي تباعاً على قواعد الجزائر، وتخوض مع عبد القادر معارك مضطرمة مستمرة، حتى أتمت فتح الجزائر؛ وأسر عبد القادر بعد خطوب وأحداث جمة (سنة ١٨٤٧)، وارتد الزعيم الباسل بعد أعوام من الأسر بأسرته إلى دمشق ليقضي بقية أيامه فيها

وهكذا كانت الجزائر أول قطر أفريقي سقط في يد الاستعمار الأوربي، وكان سقوطها فاتحة تلك الحركة الاستعمارية الهائلة التي تعرف «بافتتاح إفريقية» والتي اشتركت فيها معظم الدول الأوربية الكبرى، طوراً متحدة وطوراً منفردة، واستمرت طوال القرن التاسع عشر، وانتهت بتقسيم إفريقية، وسقوط أقطارها تباعاً في يد الدول الاستعمارية الكبرى

ولما استقرت فرنسا في الجزائر أخذت تتطلع إلى تونس ومراكش؛ وكانت تونس بما يسودها من الضعف والتفكك فريسة هينة، فما زال الفرنسيون بها حتى جردوا عليها حملة غازية في سنة ١٨٨١ ثم جردوا عليها أسطولاً رسا في بنزرت، وزحفوا على تونس في مايو سنة ١٨٨٥ وأرغموا «الباي» صاحب تونس على أن يعترف بالحماية الفرنسية على القطر التونسي. أما مراكش فقد استطاعت لمنعتها ووعورتها أن تقف في وجه الاستعمار مدى حين، وعاونتها السياسة الألمانية على مقاومة فرنسا وإحباط محاولاتها حتى أوائل القرن الحالي

وفي الوقت الذي سقطت فيه تونس في يد الفرنسيين كانت انكلترا قد نظمت مشروعها لاحتلال مصر، وألفت فرصتها في اختلال الأحوال المالية، وفي قيام الثورة العرابية؛ فبعثت حملتها المعروفة إلى مصر في صيف سنة ١٨٨٢، واحتلت عاصمتها في سبتمبر، في ظروف ما زالت معروفة ماثلة في جميع الأذهان، وما زال الاحتلال الانكليزي قائماً في مصر، وما زالت المسألة المصرية تنتظر حلا شريفاً عادلا يحقق أماني مصر في استرداد حرياتها واستقلالها

* * *

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر كانت البعثات الاستكشافية العديدة قد ألقت رحلاتها ومباحثها كثيراً من الضياء على افريقية ومجاهلها ووهادها الغنية، وثرواتها الطبيعية المتنوعة، ولم تمض أعوام أخرى حتى اكتشفت منابع أنهارها العظيمة مثل النيل والنيجر والكونغو، وحققت مجاريها

وأحواضها ، وأخذت روعة الثروات العظيمة التي اختصت بها القارة السمراء تحفز الاستعمار الأوربي وتذكي أطماعه ، واشتدت المنافسة بين الدول الكبرى لاقتسام هذه الأقطار الغنية واحتلالها . عندئذ اتفقت الدول على عقد مؤتمر ينظم اقتسام افريقية ، ويحدد مناطق النفوذ والنشاط لكل دولة ، وكان بسمارك المستشار الألماني هو صاحب الفكرة ، فعقد المؤتمر في برلين في أواخر سنة ١٨٨٤ ، واتفق على أن تكفل الحرية التجارية المطلقة لجميع الدول في حوض الكونغو ، وأن تكفل حرية الملاحة في نهري النيجر والكونغو ، وألا يعتبر الاحتلال النظري قائماً في منطقة من المناطق حتى يؤيد بالاحتلال الفعلي ، واعترف المؤتمر أيضاً بقيام دولة مستقلة في الكونغو وأنها ملك شخصي لملك البلجيك وهي التي أضحت في يومنا مستعمرة عظيمة تملكها دولة أوربية صغيرة هي البلجيك

على أن قرارات مؤتمر برلين لم يكن لها أثر فعلي ظاهر فيما تلا من تقسيم افريقية . وكانت فرنسا قد وضعت يدها على الجزائر وتونس والسنغال ، ووضعت انكلترا يدها على مصر ، ومنطقة الرأس (الكاب) ، وبدأت ألمانيا احتلالها في نفس الوقت للكمرون وتوجولاند وشرق افريقية ؛ ولم يكن ثمة بد من أن تتفاهم هذه الدول الاستعمارية الكبرى فيما بينها بمعاهدات واتفاقات خاصة على تحديد المناطق التي تطمح كل إلى امتلاكها ، وكانت كل دولة قد شادت بما احتلته أسس امبراطوريتها الاستعمارية في افريقية . وكانت فرنسا أنشطها في بناء هذا الصرح الاستعماري ، فلم تأت أواخر القرن التاسع عشر حتى كانت قد احتلت معظم افريقية الغربية ، واستولت على السنغال وأعالي النيجر ، وساحل العاج ، وداهومي ، ونفذت في قلب افريقية إلى السودان الأوسط حتى بحيرة تشاد ، ووطدت أقدامها في الشمال في تونس والجزائر ، وافتتحت جزيرة مدغشقر في سنة ١٨٩٥

أما انكلترا فانها وطدت أقدامها في وادي النيل ، في مصر والسودان ، وشرق افريقية البريطاني ، واحتلت زنجبار ، وأخذت في بناء امبراطوريتها الاستعمارية العظيمة في أواسط افريقية وجنوبها . وكانت منذ أوائل القرن التاسع عشر قد احتلت منطقة الرأس (الكاب) كما قدمنا ، وكان البوير (وهم سلالة المستعمرين الهولنديين الأوائل) قد استقروا في منطقة «الأورانج» وفي « ناتال » ، فاستولى الانكليز على ناتال ، وهاجر البوير منها ، وأسسوا لهم مستعمرة جديدة هي «الترنسفال» واعترفت انكلترا باستقلالها سنة ١٨٥٢ ، ولكن انكلترا ما فتئت تبسط سلطانها نحو الشمال تباعا ، فاستولت على أرض الكفر وباسوتولاند ؛ وفي أواخر القرن التاسع عشر أنشأ سسل رودس شركة استعمارية على مثال الشركة التي أسست من قبل في الهند ، وعضدت الحكومة الانكليزية مشروعه في فتح الأراضي الواقعة حول حوض الزمبيزي وأمدته بالمال والجند ، وهكذا افتتحت رودسيا ، وأصبحت انكلترا تسيطر على أواسط افريقية الجنوبية من منابع الكونغو حتى الكاب ، ولم يبق خارجا عن سلطانها سوى الترنسفال ومستعمرة الأورانج حيث استقر البوير . وكانت انكلترا تطمح دائما إلى ضم هاتين المستعمرتين إليها لتوحد امبراطوريتها في افريقية الجنوبية ، وكان البوير من جهة أخرى بزعامة رئيسهم الشهير « كروجر » يناوئون كثيراً من مشاريعها الاستعمارية ، ويقاومون تدخلها بشدة ؛ وأخيراً لم تر انكلترا بداً من اعلان الحرب لتحقيق غايتها ، فاضطرمت الحرب بينها وبين البوير (أكتوبر سنة ١٨٩٩) وأبدى البوير بسالة عظيمة ، واستطال دفاعهم زهاء ثلاثة أعوام ؛ وأخيراً اضطروا إلى الاعتراف بسيادة انكلترا ولكنهم احتفظوا باستقلالهم الداخلي ، ونالوا من انكلترا تعويضاً ضخماً عما أصابهم من التخريب والخسائر ، وكبدت هذه الحرب الشهيرة انكلترا خسائر فادحة في المال والرجال ، ولكنها استطاعت أخيراً أن تحقق مشروعها في توحيد امبراطوريتها في جنوب أفريقية

* * *

وفي أواخر القرن التاسع عشر اشتدت المنافسة بين الدول الاستعمارية ولاسيما بين ألمانيا وانكلترا من جهة ، وبينها وبين فرنسا من جهة أخرى . وانتهت انكلترا وألمانيا أخيراً إلى التفاهم وعقدتا في سنة ١٨٩٠ معاهدة لتخطيط الحدود بين أملاكهما في إفريقية . وعقدت بين انكلترا وفرنسا في سنة ١٨٩٨ معاهدة لتحديد أملاكهما في حوض النيجر وغرب إفريقية ، ثم عقدت

بينهما معاهدة أخرى فى ســـنة ١٨٩٩ على أثر حادثة فاشودة المشهورة وفيها تنازلت فرنسا عن دعاويها فى أعالى النيل ؛ وأخيراً عقد « الاتفاق الودى » بين الدولتين فى ســنة ١٩٠٤ ، وفيه تعهدت فرنسا بأن تطلق يد انكلترا فى مصر وألا تناوئ سياستها فيها ؛ وتعهدت انكلترا من جانبها أن تطلق يد فرنسا فى مراكش وألا تناوئ سياستها فيها

وثارت بين ألمانيا وفرنسا من أجل مراكش خصومة مضطرمة كادت أن تنفجر غير مرة ؛ وكانت فرنسا تحرص على أن تضم مراكش إلى امبراطوريتها الافريقية ، وتحرص ألمانيا من جانبها على أن تضع فى سبيل فرنسا كل عقبة ممكنة ؛ وفى ســنة ١٩٠٥ ، زار الامبراطور ولهلم الثانى ثغر طنجة وألقى خطاباً رنانا حمل فيه على السياسة الفرنسية ؛ واضطرت فرنسا أن تقبل بحث المسألة المراكشية فى مؤتمر دولى ؛ وعقد المؤتمر فى الجزيرة (باسبانيا) سنة ١٩٠٦ من الدول الكبرى ؛ وأصدر قراراً باعلان استقلال السلطان ، ووجوب المحافظة على وحــدة الأراضى المراكشية ، مع الاعتراف بحقوق اسبانيا وفرنسا ومصالحهما الخاصة فى هــذه المنطقة . ولم تغنم ألمانيا شيئاً . وفى سنة ١٩١١ جردت فرنسا حملة على فاس ، وانتهزت ألمانيا هــذه الفرصة فأرسلت سفينة حربية إلى أغادير ، ووقعت بين الدولتين مشادة حادة كادت تنتهى باضطرام الحرب بينهما ؛ ولكن الخلاف انتهى بعقد معاهدة اعترفت فيها ألمانيا بحقوق فرنسا فى مراكش مقابل مزايا استعمارية كبيرة فى إفريقية الوسطى . وعلى أثر ذلك انتهزت فرنسا الفرصة وعملت على ارغام مراكش على قبول حمايتها بمعاهدة عقدت مع السلطان فى سنة ١٩١٢

أما إيطاليا ، وهى رابعــة الدول الاستعمارية الكبرى التى اشتركت فى اقتسام أفريقية ، فكان نصيبها طرابلس فى الشمال ، وارتريه وشطراً من بلاد الصومال فى الشرق . وسنعرض فى فصل قادم إلى تفصيل هــذه الغزوات الاستعمارية ، وسنعرض بوجه أخص إلى موقف الحبشة من هــذه الحركة الأوربية الاستعمارية الشاملة وكيف نجت من عواقبها ، واستطاعت أن تحتفظ باستقلالها إلى يومنا هذا ؟

للبحث بقية

(...)

٣ ـ الشـــعر *

فى صدر الاسلام وعهد بنى أمية

بقلم احمد حسن الزيات

٢ — خصائص الشعر فى العراق

أما الفرزدق فهو كالأخطل فى الذؤابة من قومه ، إلا أنه كان صريح العــداوة فلا يوارى ، فاحش الدعابة فلا يحتشم ، شــديد الغارة فلا يتعفف ، حاد البادرة فلا يتلطف ؛ فهو فى هجائه يذكر العورات ويعلن المخزيات بألفاظها العارية وأسمائها الصريحة حتى ليستحى الشاب أن ينشدها ، وتلهَ الفتاة الخفيرة . وما أظن البداوة وضيق الخلق وسلاطة اللسان وفجور النفس هى كل الأسباب التى أوجدت هــذا الهجاء السوقى الوقح ، فان الخطيئة ومن سبقه على اتصافهم بهذه الأوصاف لم يُسفوا هذا الاسفاف ، فلابد أن يكون لحياة العراق فى ذلك العهد أثر قوى فى ذلك : فالخلق العربى القوى قد وهت أواصره باتصال البدو بالحضر واختــلاط العرب بالعجم ، والوازع الدينى قد ضعف بتغلب الأحزاب وضعف العصبية ، والسلطان السياسى يغمض جفنيه ويضحك ملء شدقيه من هذه المهازل التى يمثلها الشعراء والقبائل بالبصرة . أقول القبائل لأن القبيلة كانت من وراء شاعرها تحتال لانتصاره بالمال والقتال والدعاية ، وربما أتى كل رجل منهم بالبيتين والثــلاثة فيرفد بها الشاعر كما فعلت تيم فى مهاجاة شاعرها عمر بن لجأ لجرير . وكان أفحش الهجاء هجاء الفرزدق فى جرير ، فهو يرمى قومه بضــعة النسب ، وضعف الحيلة ، واتخاذ الغنم ، ورعى الابل ، وإتيان الأتن ، ويفتنُّ فى هــذه المعانى افتنانا عجيبا : يرددها فى كل قصــيدة على صور مختلفة وأساليب شتى ، ولا يتحرج أحيانا من افتعال الحوادث المضحكة إمعانا فى السخر من المهجو والنيل منه

وهــذا غاية ما وصل إليه الهجاؤون وأهل التنادر فى عصور

* من الطبعة الجديدة لكتاب تاريخ الأدب العربى الذى صدر حديثاً